اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالثَّمَانُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْجَتِّيَّةِ. لآسَافَ

1 رَنِّمُوا لِلَّهِ قُوَّتِنَا. اهْتِفُوا لإِلَهِ يَعْقُوبَ. 2ارْفَعُوا نَغْمَةً، وَهَاتُوا دُفّاً عُوداً حُلْواً مَعَ رَبَابٍ. 3انْفُخُوا فِي رَأْسِ الشَّهْرِ بِالْبُوقِ، عِنْدَ الْهِلاَلِ لِيَوْمِ عِيدِنَا، 4لأَنَّ هَذَا فَرِيضَةٌ لإِسْرَائِيلَ، حُكْمٌ لإِلَهِ يَعْقُوبَ. 5جَعَلَهُ شَهَادَةً فِي يُوسُفَ عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. سَمِعْتُ لِساناً لَمْ أَعْرِفْهُ. 6«أَبْعَدْتُ مِنَ الْحِمْلِ كَتِفَهُ. يَدَاهُ تَحَوَّلَتَا عَنِ السَّلِّ. 7فِي الضِّيقِ دَعَوْتَ فَنَجَّيْتُكَ. اسْتَجَبْتُكَ فِي سِتْرِ الرَّعْدِ. جَرَّبْتُكَ عَلَى مَاءِ مَرِيبَةَ». سِلاَهْ.

8«اسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأُحَذِّرَكَ. يَا إِسْرَائِيلُ إِنْ سَمِعْتَ لِي. 9لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلَهٌ غَرِيبٌ، وَلاَ تَسْجُدْ لإِلَهٍ أَجْنَبِيٍّ. 10أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. أَفْغِرْ فَاكَ فَأَمْلأَهُ. 11فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي، وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي، 12فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ. 13لَوْ سَمِعَ لِي شَعْبِي وَسَلَكَ إِسْرَائِيلُ فِي طُرُقِي، 14سَرِيعاً كُنْتُ أُخْضِعُ أَعْدَاءَهُمْ، وَعَلَى مُضَايِقِيهِمْ كُنْتُ أَرُدُّ يَدِي. 15مُبْغِضُو الرَّبِّ يَتَذَلَّلُونَ لَهُ، وَيَكُونُ وَقْتُهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. 16وَكَانَ أَطْعَمَهُ مِنْ شَحْمِ الْحِنْطَةِ، وَمِنَ الصَّخْرَةِ كُنْتُ أُشْبِعُكَ عَسَلاً».

دعوة للاحتفال

هذا المزمور هتاف ودعوة للاحتفال ببدء سنة جديدة، وللشكر على الحصاد، فقد أمر الله بني إسرائيل أن يحتفلوا ببداية كل شهر بالنفخ في البوق (عدد 10: 10). وكان الشهر السابع أول شهور السنة الدينية العبرية، وهو في الوقت نفسه الشهر الأول في السنة العبرية المدنية. وكان أول يوم من هذا الشهر السابع يحظى باهتمام خاص، ويدعونه «عيد الأبواق» أو «عيد هتاف البوق» (لا 23: 24 وعدد 29: 1). وفي منتصف هذا الشهر لما يكتمل القمر يرنمون مزمورنا وهم يجمعون غلَّة الأرض ويعيِّدون عيد المظال (لا 23: 39)، وهو أكثر الأعياد بهجةً، يقيمون أثناء الاحتفال به في مظال يبنونها من أغصان الأشجار في ساحات المدن وفوق سطوح البيوت وعلى الجبال المحيطة بأورشليم، ليذكروا إقامتهم في مظال بصحراء سيناء أثناء سنوات التيه الأربعين، وليشكروا الله على الحصاد بحسب أمره: «أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه عندما تجمعون غلة الأرض تعيِّدون عيداً للرب سبعة أيام. في اليوم الأول عطلة وفي اليوم الثامن عطلة.. لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم» (لا 23: 39، 43). وكان عيد المظال يقع بعد يوم الكفارة العظيم الذي يتطهَّر فيه الشعب من آثامه. وكانوا أثناء عيد المظال يقرأون شريعة موسى مرة كل سبع سنوات (تث 31: 10).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة للاحتفال (آيات 1–5)

ثانياً – نصيحة إلهية (آيات 6–10)

ثالثاً – عقاب العصيان (آيات 11–16)

أولاً - دعوة للاحتفال

(آيات 1-5)

يقدم لنا المرنم في هذه الآيات أربعة أسباب للاحتفال بعيد المظال:

1 – لأن الله قوتنا: «رنموا لله قوتنا» (آية 1أ). الباعث الأول على الاحتفال هو تنشيط أذهان الشعب ليذكروا قوة الله التي خلَّصتهم من عبودية فرعون، وليرتلوا من جديد ترنيمة موسى وشعبه: «أرنِّم للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده، إله أبي فأرفِّعه» (خر 15: 1، 2). «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً» (مز 46: 1).. والاحتفال ينعش الذاكرة أن خلاصنا ليس من عند أنفسنا بل من إلهنا، لأن الأغصان لا تقدر أن تأتي بثمرٍ من ذاتها إن لم تثبت في الكرمة، ونحن بدون الله لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو 15: 4، 5).

2 – لأنه إله العهد: «اهتفوا لإله يعقوب» (آية 1ب). في الاحتفال بالعيد يذكر الشعب أن الله دخل في عهد مع يعقوب أب الأسباط، لا لأن يعقوب يستحق، بل لأن الله أنعم عليه، ورضي أن يُدعى «إله يعقوب». ولا زال الله يقبل كل خاطئ تائب فيكون له إلهاً ويحسبه من شعبه. وعندما يذكر شعب الرب عهد الرب يهتفون. ونذكر مناسبتين كان الشعب يهتف فيهما:

(أ) الهتاف للملك: هتف الشعب وهو يرى الملك الذي اختاره الرب، لأنه ليس مثله في جميع الشعب (1صم 10: 24). ونحن نهتف لرب الأرباب وملك الملوك، ونقول: «من مثلك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزّاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب؟» (خر 15: 11).

(ب) الهتاف للمنتصر: «ترنمي.. افرحي وابتهجي.. الرب في وسطك جبار يخلِّص. يبتهج بك فرحاً. يسكت في محبته. يبتهج بك بترنُّم» (صف 3: 14، 17). ونحن نهتف للملك المنتصر الذي هزم الشيطان والخطية والموت، ولنقُل: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟.. شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (1كو 15: 55، 57).

3 – لأنه يوم عيد: «ارفعوا نغْمةً، وهاتوا دُفاً وعوداً حُلواً مع رباب. انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا» (آيتا 2، 3). يحتفل الناس بالعيد لأنه ذكرى حادثة مفرحة، والاحتفال بعيد المظال يذكِّر شعب الرب بحادثة مضت هي إعالة شعب كامل في صحراء مدة أربعين سنة، كما أنه يدفعهم لرفع الشكر لله الذي أعطى الحصاد. فيجب أن يشكر الشعب إلهه على ما كان وما هو كائن، بنغمة عالية، مصحوبة بـ«دف» وهو نوع من الطبل، تُعلَّق في أطرافه أجراس صغيرة، فيهزُّ الطبال الدف فتقرع الأجراس، وبأصابع يده الأخرى يضرب على جلد الطبلة. وبمصاحبة «عود» وهو آلة ذات أوتار ربما يصل عددها إلى عشرة، وهو سهل الحمل. وبعزف «رباب» وهي آلات وترية مرتفعة النغم من بعض أنواع القيثار. و«البوق» وهو آلة موسيقية كالقرن، وكانت أبواق الكهنة من الفضة.

يطلب المرنم من الشعب أن يرتلوا لله بآلات موسيقية مختلفة الرنين، لكنها متوافقة، ويطالبهم أن «يرفعوا نغمةً» تليق بالإله العلي، وأن «ينفخوا» بكل ما في باطنهم بفكر واحد وقلب واحد للإله الواحد.

4 – لأنه واجب: «لأن هذا فريضةٌ لإسرائيل، حكمٌ لإله يعقوب. جعله شهادة في يوسف عند خروجه على أرض مصر. سمعتُ لساناً لم أعرفه» (آيتا 4، 5). الاحتفال بالعيد واجب وفرضٌ على شعب الرب، لأنه يستحق الشكر. لقد اعتنى بشعبه قبل سنوات التيه، كما اعتنى بهم أثناءها. وعنايته أزلية أبدية، واضحة للعيان، شهادة للجميع. لقد قال ليعقوب النائم وحيداً في الصحراء: «ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب.. لا أتركك حتى أفعل ما كلَّمتك به» (تك 28: 15). وأشهد الرب السماء والأرض على عنايته العظيمة أيام أخرج يوسف من سجن فرعون ليجعله رئيس وزراء مصر، بدونه لا يرفع إنسانٌ يده ولا رِجله في كل أرض مصر (تك 41: 44). ولما جاء فرعون جديد لم يكن يعرف يوسف، وأذلَّ بني إسرائيل خرج الرب بقوته على أرض مصر وعاقب فرعون، وأطلق الأسرى أحراراً.

وعند حدوث هذه المعجزات سمع شعب الله لغةً لم يسبق لهم أن عرفوها، هي لغة الفداء والخلاص والحرية. لقد تعوَّدوا الذل ولم يعرفوا السيادة، فجاءتهم لغةٌ جديدة تقول: «الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث 7: 9).

ثانياً ـ نصيحة إلهية
(آيات 6-10)

1 – لنذكر فعل الله العجيب: (آيتا 6، 7).

(أ) حرية من الاستعباد: «أبعدتُ من الحمل كتفه. يداه تحوَّلتا عن السَّلِّ» (آية 6). فعل الله مع شعبه أموراً فريدة، وغير عادية، وغير متوقَّعة، وفائقة الطبيعة، ولا يمكن أن تُنسى.. كان بنو إسرائيل يحملون الطوب على أكتافهم، فأنقذ الله الكتف المستعبَدة بأن أبعدها عن حمل الطوب، ونقلها إلى مكان فيه حرية وكرامة! وكانوا يصنعون السلال بأيديهم، ثم يحملون فيها الطين والتبن، فحوَّل الله أيديهم عن عمل السلال وعن حملها.

(ب) نجاة من الضيق: «في الضيق دعوتَ فنجَّيتك» (آية 7أ). يربط الله بين بني إسرائيل الذين يخاطبهم المرنم وجدودهم القدماء، فيقول إنهم دعوا الرب في ضيقهم فنجاهم، وهو القائل: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدَني» (مز 50: 15) «تنهَّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله.. فسمع الله أنينهم» (خر 2: 23، 24). هذا الإله المحب «نجّانا من موت.. وهو ينجي، الذي لنا رجاءٌ أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 10).

(ج) أسرار الرعد: «استجبتك في ستر الرعد» (آية 7ب). أعلن الله قوته وخلاصه لشعبه في ستر الرعد، (والرعد ظاهرة طبيعية لم يكن الشعب القديم يعرف لها تفسيراً). والمعنى أن الله استجاب شعبه بطريقة سرية لا يفهمونها، لكنهم يرون نتائجها المعجزية. «وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر

المصريين» (خر 14: 24).. وأعلن الله ذاته لشعبه في إعطائهم الشريعة في ستر الرعد أيضاً وأسراره، فقد «صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً» (خر 19: 16). وهكذا أعلن الرب في الرعد أسرار الخلاص، وأسرار الشريعة.

(د) ماء للعِطاش: «جرَّبتُك على ماء مريبة» (آية 7ج). مريبة اسم عبري معناه خصام، وهو اسم نبع ماء خرج من الصخر عندما ضربه موسى بأمرٍ إلهي، بعد أن خاصم بنو إسرائيل موسى لأنهم عطشوا، ويُطلَق عليه أيضاً اسم «مسَّة» بمعنى تجربة، فقد تساءل بنو إسرائيل وقت عطشهم إن كان الرب في وسطهم أم لا (خر 17: 7). ومن أعمال الله الفريدة أنه يعتني بالشعب المخاصم المتسائل عن وجوده بالرغم من كل معجزاته، فيستمر يعتني بهم ويُحسن إليهم، ويرويهم من الصخر! (راجع عدد 20: 13). ويحذرنا الوحي من إعادة خطأ بني إسرائيل، فيقول: «إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، حيث جرَّبني آباؤكم.. انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلبٌ شرير بعدم إيمانٍ في الارتداد عن الإله الحي، بل عظوا أنفسكم كل يوم.. لكي لا يُقسَّى أحدٌ منكم بغرور الخطية» (عب 3: 7-13).

2 – لنُطع الله: (آيات 8-10).

(أ) تحذير: «اسمع يا شعبي فأحذِّرك. يا إسرائيل، إن سمعتَ لي» (آية 8). الأمر «اسمع» يذكرنا بالوصية الأولى والعظمى: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» (تث 6: 4، 5). وفي بداية النُصح بطاعة الله يحذر الرب شعبه من خطورة العصيان، وينبِّههم لبركات الطاعة. وقد تكرر هذا التحذير عبر العصور، فقال الله : «ربَّيتُ بنين ونشَّأتُهم، أما هم فعصوا عليَّ.. تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل. ارتدوا إلى الوراء.. اغتسلوا. تنقّوا. اعزِلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ. كفّوا عن فعل الشر. تعلَّموا فعل الخير.. إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تُؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم» (إش 1: 2، 4، 16، 17، 19، 20). وقال المسيح: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو 13: 3).. ولكن الله الذي ينصح بالطاعة لا يُجبر أحداً على طاعته، فهو يحترم حرية الإرادة التي أعطاها للإنسان، ويقول له: «إن سمعتَ لي».

(ب) أمر: «لا يكن فيك إلهٌ غريب، ولا تسجد لإله أجنبي» (آية 9). بدأت الوصايا العشر بالقول: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (تث 5: 6، 7). وقال المسيح: «لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (مت 6: 24). ولما كانت خدمة سيِّدين مستحيلة، قال إيليا للشعب: «حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتَّبعوه، وإن كان البعل فاتَّبعوه» (1مل 18: 21).

(ج) وعد: «أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. أَفغِر فاك فأملأه» (آية 10). كان الرب مع شعبه فأنقذهم بمعجزات الخروج من مصر، ولا زال يريد أن يُشبع شعبه بقدر إيمان الشعب وانتظاره، فكلما فغر المؤمن فاه بجوعٍ وشوق إلى النعمة ملأ الرب فمه بالخير. وقال موسى في نشيده، بعد تدوين التوراة: «إن قِسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفرٍ وفي خلاءٍ مستوحش خربٍ. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه.. أركبه على مرتفعات الأرض، فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلاً من حجر، وزيتاً من صوّان الصخر» (تث 32: 9، 10، 13).. وقال المسيح: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون» (مت 5: 6). وكان يقول لطالبيه: «حسب إيمانك ليكن لك» (مت 9: 29).

ثالثاً ـ عقاب العصيان
(آيات 11-16)

1 –تسليم العاصي لعصيانه: «فلم يسمع شعبي لصوتي، وإسرائيل لم يرضَ بي، فسلَّمتُهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم» (آيتا 11، 12). عندما يعصى إنسانٌ الربَّ يدفع أجرة اختياره الخاطئ، ويحل به غضب الرب وعقابه. وأقسى عقاب هو أن يترك الله الخاطئ يسلك حسب هواه! وقد طبَّق بِلدد الشوحي هذا المبدأ في قوله لأيوب: «إذْ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم» (أي 8: 4) والمبدأ هنا صحيح، ولكن تطبيقه على أبناء أيوب كان خاطئاً. وقال الحكيم: «لم يرضوا مشورتي. رذلوا كل توبيخي، فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم، ويشبعون من مؤامراتهم» (أم 1: 30، 31). وقال الرسول بولس عن عُبّاد الوثن: «أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور والدواب والزحافات. لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتَّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق.. لذلك أسلمهم

الله إلى أهواء الهوان» (رو 1: 23–26). وقال أيضاً في الذين يرفضون خلاص المسيح: «لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلُصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدّقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سُرُّوا بالإثم» (2تس 2: 10–12). فلنطلب من الله أن يعيننا على طاعته، ولا يتركنا لجهالة قلوبنا. ولنصلِّ: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّة أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز 19: 14).

2 – حرمان العاصي من البركة: (آيات 13–16).

(أ) حرمان من بركة النصر: «لو سمع لي شعبي وسلك إسرائيل في طرقي، سريعاً كنتُ أُخضِع أعداءهم، وعلى مضايقيهم كنت أردُّ يدي. مبغضو الرب يتذللون له، ويكون وقتهم إلى الدهر» (آيات 13–15). المفروض أن شعب الرب منصور بالرب، لأنهم شعبه، ولأنه يعتبر أعداءهم أعداءه. ولكن هذا الانتصار مشروط بطاعتهم للرب، فلو سلك شعب الرب في طرق الرب لانهزم مضايقوهم وأعداؤهم أمامهم لأن الابتعاد عن طرق الرب خراب وذل، كما أن الرب لا بد يوقع الذل والخراب بمبغضيه.. أما شعبه فيكون «وقتهم إلى الدهر»، لأنهم يتمتعون به وبعطاياه في حياتهم الحاضرة والمستقبلة، فتكون لهم حياة، ويكون لهم أفضل (يو 10: 10). لقد قال الله: «أنا الرب إلهك، معلِّمك لتنتفع، وأمشِّيك في طريق تسلك فيه. ليتك أصغيت إلى وصاياي، فكان كنهرِ سلامك وبرُّك كلُجج البحر» (إش 48: 17، 18). ولكن شعبه لم يسمعوا له، فأصابهم ما أصاب أورشليم التي قال المسيح لها: «يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترَك لكم خراباً» (مت 23: 37، 38).

والمقصود بهذا التحذير السماوي أن يجنِّبنا الهزيمة، ويفتح عيوننا إلى طريق الانتصار. فلنثبت في الرب ونتبعه بكل القلب، فنقدر أن نقول: «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37).

(ب) حرمان من الشِّبع: «وكان أطعمه من شحم الحنطة، ومن الصخر كنت أُشبعك عسلاً» (آية 16). يُشبع الرب شعبه الذي يطيعه من كل خيراته، فيقولون مع المرنم: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريا» (مز 23: 1، 5).. لقد سبق أن أطعم الرب شعبه «شحم الحنطة» (مز 147: 14) و«دسم لُبّ الحنطة» (تث 32: 14)، أي أفضل حنطة، وأفضل ما في الحنطة. كما سبق أن أشبعهم عسلاً من صخور صحراء سيناء و«أرضعهم عسلاً من حجر» (تث 32: 13).. ولا زال يحب أن يُشبع شعبه فهو الذي قال في مزمورنا: «أفغِر فاك فأملأه» (آية 10). ويمكن أن يزيد فهمنا لبركة الامتلاء من الشبع عندما نشاهد طائراً يطعم فراخه في العش، وهي تفتح أفواهها عن آخرها لتنال حظها من الطعام. ولا يمكن أن يبقى الفرخ الصغير على قيد الحياة بدون رعاية الطائر له. ونحن لا نحيا ولا نتحرك ولا نوجد بدون رعاية الله وعنايته بنا.. فلماذا نعصاه فنحرم نفوسنا من كل هذه البركات التي يريد أن يعطيها لنا. إن الرغبة في الحصول على كل هذه البركات تدفعنا لنحيا حياة الطاعة لأبينا السماوي.

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ

مَزْمُورٌ لآسَافَ

1 اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسَطِ الآلِهَةِ يَقْضِي. 2حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْراً وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ
الأَشْرَارِ؟ سِلاَهْ. 3اِقْضُوا لِلذَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمِسْكِينَ وَالْبَائِسَ. 4نَجُّوا الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ
أَنْقِذُوا.

5لاَ يَعْلَمُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فِي الظُّلْمَةِ يَتَمَشُّونَ. تَتَزَعْزَعُ كُلُّ أُسُسِ الأَرْضِ. 6أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَبَنُو
الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. 7لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ، وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ. 8قُمْ يَا اللهُ. دِنِ الأَرْضَ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُ كُلَّ
الأُمَمِ.

أوامر للحكام والقضاة

هذا المزمور موجَّه لكل صاحب سلطة يحتل مكانة قيادية، يؤكد له أنه مسؤول أمام الرب سيد الأرض كلها. إنه مزمور للقضاة، يطالبهم أن يحكموا بالعدل بعد أن فوَّضهم الله أن ينوبوا عنه في إقرار العدالة وأعطاهم سلطاناً أن يصدروا حكماً على شخص بالموت وعلى آخر بالبراءة، فهم بتكليف منه، وتطبيقاً لشريعته يقومون مقامه ويمثلونه في إقرار العدالة. كما أن هذا المزمور موجَّه لكل رئيس عمل في موقعه، ولكل رئيس دولة في بلاده، ولكل رب بيت في عائلته ليكونوا عادلين منصفين مع من أوكل الله لهم تدبير أمورهم. وواضحٌ أن الامتيازات التي يمنحها الله للمسؤولين ليست لتمتُّعهم الشخصي فقط، ولكنها لخدمة كل الذين كلَّفهم بخدمتهم، فكل امتياز العظيم يحمل معه مسؤولية عظيمة.

ولا ندري المناسبة التي دفعت المرنم آساف أن يكتب هذا المزمور. الأغلب أنه لا توجد مناسبة خاصة، لأن الظلم منتشر في كل مكان ولم يتوقف. ولعل المرنم انفعل وهو يسمع عن قاضٍ ظلم أرملة، أو رئيس دولة أصدر قانوناً لمصلحته الشخصية، أو رب أسرة طلَّق السيدة التي تزوجها أيام فقره ليتزوج بغيرها بعد أن نال حظاً من المال، أو لأبٍ يفرِّق في المعاملة بين أولاده!.. فمناسبة كتابة هذا المزمور هي كل يوم، كما قال النبي إشعياء: «انتصب الرب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم.. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟» (إش 3: 13، 15).. ولكن المزمور يرينا جانباً آخر، فهو ينتهي بأن يعلن لنا أن الله هو ديان القضاة والمتقاضين، ولا بد أن يُرسي قواعد العدالة، «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل» (إش 26: 9).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله يراقب القضاة (آية 1)

ثانياً – الله يقاضي القضاة (آيات 2–4)

ثالثاً – الله يوبخ القضاة (آيات 5–7)

رابعاً – الله القاضي العادل (آية 8)

أولاً _ الله يراقب القضاة
(آية 1)

1 – الله موجود في المحكمة: «الله قائم في مجمع الله» (آية 1أ). يمكن أن تُترجم هذه الآية «الله قائم في مجمع الأقوياء» أو «في مجمع النبلاء والشرفاء» باعتبار أن المحكمة تنعقد وتجتمع بتكليف من الله، وأنها تحت سلطانه، فهو يراقب تصرفات القضاة الأقوياء وأولياء الأمور النبلاء والشرفاء، كما قال موسى لحميه: «الشعب يأتي إليَّ ليسأل الله. إذا كان لهم دعوى يأتون إليَّ، فأقضي بين الرجل وصاحبه، وأعرِّفهم فرائض الله وشرائعه» (خر 18: 15، 16)، وكما قال سليمان الحكيم: «إن رأيتَ ظلم الفقير ونزْعَ الحق والعدل في البلاد فلا ترتَعْ من الأمر، لأن فوق العالي عالياً يُلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا 5: 8).. والكنيسة هي مجمع الله حسب قول المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20)، ولهذا يقول الوحي: «أيتجاسر منكم أحدٌ له دعوى على آخر أن يُحاكم عند الظالمين، وليس عند القديسين؟» (1كو 6:1).

2 – الله يقضي بواسطة القضاة: «في وسط الآلهة يقضي» (آية 1ب). يحتل القضاة مكانة عظيمة لذلك يسميهم «آلهة» لأن سلطانهم في الحكم هو من عند الله، ولأنهم يجب أن يحكموا بشريعة الله. والمسؤولون أصحاب المراكز العالية عندما يجتمعون معاً لإصدار الأحكام، لا يجب أن يظنوا أن السلطات الممنوحة لهم تفوِّضهم ليحكموا كما يريدون، فإن الله قائم وسطهم، ويصدر أحكامه العادلة بواسطتهم، ولا بد أن يقدموا له حساباً عن وكالتهم. قبل وفاة موسى قال للرب: «ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم، ويُخرِجهم ويُدخِلهم، لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها». فقال الرب لموسى: «خُذْ يشوع بن نون رجلاً فيه روح (أي روح الله)، وضَعْ يدك عليه، وأوقِفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة، وأوصِه أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل» (عدد 27: 15–21).

أعطى الله القضاة والقادة والمسؤولين ألقاباً عظيمة ومسؤوليات كبيرة، وجعلهم ممثلين له. فما أعظم الشرف، وما أرهب المسؤولية!

ثانياً _ الله يقاضي القضاة
(آيات 2-4)

1 – لأنهم رفعوا الشرير: «حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار؟ سلاه» (آية 2). في هذه الآية والتي تليها يوجِّه الله الاتهام للقضاة بأنهم ظلموا الناس وجاملوا الأشرار على حساب المساكين، ويسألهم «حتى متى؟» لينبِّههم لتقييم تصرفاتهم، وليعطيهم فرصةً للدفاع عن أنفسهم. لقد نهى عن الحكم الجائر قائلاً: «لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين، ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك» (لا 19: 15). وكلمة «سلاه» تعني وقفة موسيقية، وقد تعني رفع اللحن الموسيقي، وقد تعني التأمل في ما يُسمع، لأن الله يعطي القضاة فرصة ليفكروا في الاتهام الذي يوجِّهه لهم وليستعدوا للرد عليه. وتوبيخ الله هذا يشبه توبيخه لفرعون: «إلى متى تأبى أن تخضع لي؟ أطلِق شعبي ليعبدوني» (خر 10: 3).. وما أكثر ما نقع في خطأ مجاملة الأغنياء على حساب الفقراء، حتى أن مؤمني الكنيسة الأولى كانوا يقدمون الغني إلى مكان أمامي، وأما المسكين فكانوا يُجلسونه في مكان حقير (يع 2: 1–9). ولما دخل الزعيم الهندي المهاتما غاندي إحدى كنائس جنوب أفريقيا طلب منه المشرف على النظام أن يجلس في صفوف السود، لا البيض، فقال غاندي: «لولا المسيحيين لصرت مسيحياً». ونحن نقف أمام هذه الآية في خجل، لأننا نشترك في الخطأ مع القضاة الذين وجَّه الله إليهم توبيخه هذا.

2 – لأنهم ظلموا المسكين: «اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجّوا المسكين والفقير. من يد الأشرار أنقِذوا» (آيتا 3، 4). يمثل الحاكم والقاضي عدالة الله الذي يطالبهم بالقضاء للذليل واليتيم فيصغون لشكواه، ويمنحونه فرصة طلب العدالة. ويأمرهم بإنصاف للمسكين والبائس فيمنحونه حقوقه المشروعة، وينقذونه من يد الشرير الظالم. وهو أمر يتكرر على صفحات كتاب الله «تعلَّموا فعل الخير. اطلبوا الحق. أنصِفوا المظلوم. اقضوا لليتيم. حاموا عن الأرملة» (إش 1: 17)، كما أنه تحذير متكرر «ويل للذين يقضون أقضية البُطل، وللكتبة الذين يسجِّلون جوراً، ليصدّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حقَّ بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمتهم، وينهبوا الأيتام. وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد. إلى من تهربون للمعونة؟» (إش 10: 1–3).

هذا نداء إلهي من الله للقضاة وأرباب الأمور كلٍّ في موقعه بحسب مسؤوليته، لينصف الحاكم شعبه، والقاضي طالبي العدالة، وصاحب العمل عُمّاله، ورب البيت زوجته وأولاده.

ثالثاً _ الله يوبخ القضاة
(آيات 5-7)

1 – الله يوبخ القاضي الجاهل: «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشَّون. تتزعزع كل أسس الأرض» (آية 5). معرفة الشريعة قبل تطبيقها هي مسؤولية القاضي الأولى، وهي أساس تعيينه للقيام بوظيفته. وقد صلى سليمان: «أيها الرب إلهي، أنت ملَّكتَ عبدك مكان داود أبي، وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول.. فأعطِ عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك، وأميِّز بين الخير والشر، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟» (1مل 3: 7، 9). ولكن هؤلاء القضاة أهملوا الشريعة واختاروا عدم فهم كلمة الرب، وتقلَّدوا الكبرياء، ولبسوا كثوب ظلمهم، مع أن الله ينادي: «إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» (إش 8: 20) فإن إشراق نور الفجر مرتبط بالرجوع إلى الشريعة والشهادة التي هي «سراج لرجلي كلامك ونور

لسبيلي» (مز 119: 105). «إذا دخلت الحكمة قلبك ولذَّت المعرفة لنفسك، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك، لإنقاذك من طريق الشر ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب» (أم 2: 10–12) «لأن الوصية مصباح والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (أم 6: 23).

ونتيجةً لجهل القاضي الذي يقول «ليس إله» تتزعزع كل أسس الأرض، لأن الأعمدة الأخلاقية تتقلقل، و«إذا انقلبت الأعمدة، فالصدِّيق ماذا يفعل؟» (مز 11: 3). حقاً «هلك شعبي من عدم المعرفة» (هو 4: 6)، فقد «أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة، لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبَّخ لأعماله» (يو 3: 19، 20).

2 – الله يذكِّر القاضي بمكانته: (آية 6). في توبيخ القضاة يذكِّرهم الرب بالمكانة الرفيعة التي منحها لهم:

(أ) **إنهم آلهة**: «أنا قلتُ إنكم آلهة» (آية 6أ). كانت الشريعة تقضي في حالة عدم معرفة الشخص الذي سرق أن «يُقدَّم صاحب البيت إلى الله ليحكم.. في كل دعوى جناية.. تُقدَّم إلى الله دعواهما. فالذي يحكم الله بذنبه يعوِّض صاحبه» (خر 22: 8، 9). والقاضي هنا ينوب عن الله، بتكليف من الله، أن يطبق شرع الله «لأن القضاء لله» (تث 1: 17) وقال الملك يهوشافاط للقضاة الذين أقامهم: «انظروا ما أنتم فاعلون، لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب، وهو معكم في أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم» (2أخ 19: 6، 7). ويقول الإنجيل: «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله» (رو 13: 1، 2).

وقد اقتبس المسيح هذه الآية عندما أعلن: «أنا والآب واحد» (يو 10: 30)، فتناول اليهود حجارة ليرجموه، فقال لهم: «أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني؟» أجابوه: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً». فقال المسيح: «أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله– ولا يمكن أن يُنقض المكتوب– فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه» (يو 10: 31–38).

(ب) **إنهم أبناء العلي**: «وبنو العلي كلكم» (آية 6ب). هذا اللقب الثاني يبيِّن أن اللقب الأول «إنكم آلهة» ذو معنى روحي لأن اللقب الثاني ذو معنى روحي أيضاً، فلا توجد ولادة جسدية من الله، ولكنها ولادة من فوق من الماء والروح (يو 3: 3، 5). وهي ما جاء المسيح ليهبه للذين يؤمنون به «أما كل الذين قبلوه (المسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وُلدوا من الله» (يو 1: 12، 13). وبهذا صاروا «شركاء الطبيعة الإلهية» (2بط 1: 4). فما أعظم المحبة التي أعطاها لنا الله حتى نُدعى أولاده (1يو 3: 1). فمسؤوليتنا أن نكون طاهرين كما هو طاهر، وقديسين كما أنه قدوس. «نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة» (1بط 1: 15).

3 – الله يعلن أن القاضي يُعاقَب: «لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون» (آية 7). صحيح أن الله منحهم سلطات من سلطاته، ولكن فشلهم في تحقيق انتظارات الله منهم يوقع بهم عقاب الموت، شأنهم شأن كل نفس تخطئ فتموت (حز 18: 4). وكل من لا يطيع كلمة الله يدين نفسه ويحكم عليها، لأن «أجرة الخطية هي موت» (رو 6: 23). ويروي المزمور التالي (مز 83) أخبار الملوك والرؤساء الذين سقطوا وهلكوا بسبب ظلمهم (مز 83: 9–11).

رابعاً ـ الله القاضي العادل
(آية 8)

«قُم يا الله دِن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأمم» (آية 8). عرف المرنم أن الله يقضي على قضاة شعبه الذين لم ينصفوا الذليل واليتيم والمسكين والبائس والفقير، فقرر أن يرفع قضيته للقاضي العادل الذي ينصفه وينصف كل مظلوم. لقد رأى في مطلع مزموره الله «قائماً» ولكن القضاة عطلوا عدالة القضاء، فطلب من الله أن يأخذ بيده زمام أمور الأرض كلها، لأنه صاحب السلطان الذي يمتلك الأمم كلها. «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقي» (مز 7: 8) «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملكٌ كبير على كل الأرض» (مز 47: 2). إنه القاضي العادل الذي يحوِّل ظلم الشرير إلى بركة للمؤمن، كما قال يوسف لإخوته: «أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك 50: 20).

أيها المؤمن، قضيتك لم تكن أبداً ولن تكون في يد إنسان، لكنها دوماً في يد الرب الذي يحلها بيد من يكلفهم بحلِّها، أو بتدخُّله هو شخصياً. فدعونا نلجأ إلى ملك الأرض كلها لنسمع منه الكلمة الحلوة: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت 28: 18).

«لأنك أنت تمتلك كل الأمم».

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لآسَافَ

1 اَللهُمَّ، لاَ تَصْمُتْ. لاَ تَسْكُتْ وَلاَ تَهْدَأْ يَا اللهُ، 2فَهُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَعجُّونَ، وَمُبْغِضُوكَ قَدْ رَفَعُوا الرَّأْسَ.
3عَلَى شَعْبِكَ مَكَرُوا مُؤَامَرَةً، وَتَشَاوَرُوا عَلَى أَحْمِيَائِكَ. 4قَالُوا: «هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ».
5لأَنَّهُمْ تَآمَرُوا بِالْقَلْبِ مَعاً. عَلَيْكَ تَعَاهَدُوا عَهْداً. 6خِيَامُ أَدُومَ وَالإِسْمَاعِيلِيِّينَ. مُوآبُ وَالْهَاجَرِيُّونَ.
7جِبَالُ وَعَمُّونُ وَعَمَالِيقُ. فَلَسْطِينُ مَعَ سُكَّانِ صُورٍ. 8أَشُّورُ أَيْضاً اتَّفَقَ مَعَهُمْ. صَارُوا ذِرَاعاً لِبَنِي لُوطٍ. سِلاَهْ
9افْعَلْ بِهِمْ كَمَا بِمِدْيَانَ، كَمَا بِسِيسَرَا، كَمَا بِيَابِينَ فِي وَادِي قِيشُونَ. 10بَادُوا فِي عَيْنِ دُورٍ. صَارُوا دِمْناً لِلأَرْضِ. 11اجْعَلْ شُرَفَاءَهُمْ مِثْلَ غُرَابٍ وَمِثْلَ ذِئْبٍ، وَمِثْلَ زَبَحَ وَمِثْلَ صَلْمُنَّاعَ كُلَّ أُمَرَائِهِمُ. 12الَّذِينَ قَالُوا: «لِنَمْتَلِكْ لأَنْفُسِنَا مَسَاكِنَ اللهِ».
13يَا إِلَهِي، اجْعَلْهُمْ مِثْلَ الْجُلِّ، مِثْلَ الْقَشِّ أَمَامَ الرِّيحِ، 14كَنَارٍ تُحْرِقُ الْوَعْرَ، كَلَهِيبٍ يُشْعِلُ الْجِبَالَ.
15هَكَذَا اطْرُدْهُمْ بِعَاصِفَتِكَ، وَبِزَوْبَعَتِكَ رَوِّعْهُمْ. 16امْلأْ وُجُوهَهُمْ خِزْياً فَيَطْلُبُوا اسْمَكَ يَا رَبُّ. 17لِيَخْزُوا وَيَرْتَاعُوا إِلَى الأَبَدِ، وَلْيَخْجَلُوا وَيَبِيدُوا، 18وَيَعْلَمُوا أَنَّكَ اسْمُكَ يَهْوَهُ. وَحْدَكَ الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ.

استغاثة ضد حلف الشرير

يجد قارئ المزامير في كثير منها أن عدواً قوياً يقاوم المؤمن، أو يهاجم شعب الرب، ويكتشف أن مملكة شريرة تقاوم ملكوت الله. ومع أن الأتقياء يخافون ويتزعزعون أحياناً، لكنهم دائماً يجدون ملجأهم الوحيد في ربهم الثابت الباقي، فيتعلَّقون به لينقذهم وينصرهم. وعبر التاريخ كله عندما حاصر أعداء الرب شعب الرب، وعجز الأتقياء عن مواجهتهم، تدخَّلت عناية الرب لتنقذ جماعته.

والمناسبة التي كُتب فيها هذا المزمور مناسبة هجوم شامل من كل جهة على شعب الرب، عجزوا عن مقابلته. فتدخلت اليد الإلهية العليا لتدفع العدو بعيداً وتحمي شعب الرب الضعيف، لأن الوعد يقول: «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19). وربما كانت مناسبة كتابة هذا المزمور قدوم حلف قوي ضد الملك التقي يهوشافاط، فيقول المؤرخ المقدس: «أتى بنو موآب وبنو عمون، ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة. فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين: قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام، وها هم في حصون تامار (هي عين جدي). فخاف يهوشافاط ورفع وجهه ليطلب الرب» (2أي 20: 1-3) وقال: «لا نعلم ماذا نعمل، ولكن نحوك أعيننا». فأرسل الرب واحداً من بني آساف، اسمه يَحْزَئِيل بن زكريا اللاوي، كان عليه روح الرب، ليقول للملك وللشعب: «لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير، لأن الحرب ليست لكم بل لله.. قفوا وانظروا خلاص الرب معكم». وكان الترتيل هو السلاح العجيب، فقد أقام الملك يهوشافاط مرتِّلين ومسبِّحين يهتفون: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمتَه». واستجاب الرب ونجَّى شعبه بأن نصب أكمنةً للأعداء فسقطوا جميعهم فيها (2أي 20: 14-22)، فإن «اسم الرب برجٌ حصين يركض إليه الصديق ويتمنَّع» (أم 18: 10). «معونتي من عند الرب صانع السماء والأرض» (مز 121: 2).

فلنشكر الله على يهوشافاط وعلى كل أقلية ترى الله فوق كل القوى المعادية «لأن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا 5: 8). ويصدُق هذا على سلامة شعب الرب الأَمْنِيَّة والروحية. فعندما يأسر إبليس شخصاً، يعجز عن الفكاك من مخالبه، تتنازل اليد العلوية الرفيعة القادرة وترفعه من دائرة الموت وتنقله إلى رحب الحياة. وفي سبيل إنقاذ البشر من أسر الشيطان تنازلت يد المحبة الإلهية في المسيح ووصلت إلى عمق اليأس الذي انحدر البشر إليه لتخلِّصهم وتهبهم حرية مجد أولاد الله. «الكلمة صار جسداً، وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمةً فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 14، 16، 17).

في هذا المزمور نجد:

أولاً ــ وصف الخطر (آيات 1-8)

ثانياً – تشجيع من التاريخ (آيات 9-12)

ثالثاً – استغاثة (آيات 13-18)

أولاً ـ وصف الخطر
(آيات 1-8)

1 – الله صمت: «اللهم لا تصمت. لا تسكت ولا تهدأ يا الله» (آية 1). يبدو للخائف المرتعب أن الله صمت وسكت وهدأ ولم يعُد فاعلاً، ولكنه يعلم أنه سبق أن فعل وأنقذ، فيلجأ إليه صارخاً: «اللهم لا تصمت». وقد كرر المؤمنون الخائفون عبر العصور مثل هذه الصلاة «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي، لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب» (مز 28: 1). وقال بعضهم: «قد تركني الرب، وسيدي نسيني» فأجابهم: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. على كفيَّ نقشتك» (إش 49: 14–16).

2 – الأعداء يستعدون: «فهوذا أعداؤك يعجّون، ومبغضوك قد رفعوا الرأس» (آية 2). يصف المرنم المؤمن أعداءه بأنهم أعداء الرب وأنهم يبغضون الرب. ومع أنه يتحدث عن الخطر المحدق به، إلا أنه يرى الله في جانبه، ولا عجب، فالمؤمن ثابت في المسيح ثبات الغصن في الكرمة (يو 15: 2)، وكل من يؤذي الغصن يؤثر على الكرمة، وكل من يمسه يمس حدقة عينه (زك 2: 8). وأعداء الرب يعجّون ويضجون. والعجيج هو ضجيج كثرة عدد الجنود القادمين لمهاجمة المرنم وشعبه، كما قال إشعياء: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة» (إش 17: 12). وقد رفع الأعداء رؤوسهم في كبرياء، وهم واثقون من النصر «ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه» (مز 68: 21).

3 – الأعداء يتآمرون: «على شعبك مكروا مؤامرةً، وتشاوروا على أحميائك. قالوا: هلم نُبِدهم من بين الشعوب، ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد. لأنهم تآمروا بالقلب معاً. عليك تعاهدوا عهداً» (آيات 3–5). استعد الأعداء وجلسوا معاً يتآمرون ويتشاورون ضد جماعة الله، بهدف إبادتهم فلا يعود أحدٌ يذكرهم. ويرى المرنم أن المؤامرة الشريرة تستهدف المصالح الإلهية قبل كل شيء، فالشعب المستهدَف بالمؤامرة هو شعب الله، والمطلوب إبادتهم هم أحمياؤه الذين وعدهم بالحماية والحفظ، والذين يقولون: «لأنه يخبئني في مظلَّته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته» (مز 27: 5).. ويرى المرنم أن المعاهدة التي عقدها الأعداء معاً في مؤامرتهم هي معاهدة ضد الله قبل أن تكون ضد شعب الله. ورغم كثرة عدد الأعداء واختلافهم في اللغة والجنس، إلا أن المؤامرة كانت قلبية بكل العزم والإصرار.

ولن تنجح مؤامرة الأعداء على شعب الله، فقد قال المسيح لبطرس: «أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت 16: 18). كانت أبواب المدن القديمة تؤدي إلى ساحة واسعة يجلس فيها الحاكم وعظماء الأرض والقضاة. ويجلس الشيطان وجنوده في أبواب الجحيم يتآمرون على شعب الرب، لكنهم لن يقووا عليه، فقد قال المسيح: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي» (يو 10: 27–29).

4 – الأعداء كثيرون: «خيام أدوم والإسماعيليين. موآب والهاجريون. جبال وعمون وعماليق. فلسطين مع سكان صور. أشور أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط» (آيات 6–8). صرخ المرنم طالباً معونة الرب لأن المتآمرين عليه كثيرون، وقد جاءوا من كل جهة، فقد جنَّدت أشور، القوة الكبرى الشمالية، مجموعة شعوب ضد شعب الرب، فجاء الأدوميون من الجنوب الشرقي، وهم نسل عيسو شقيق يعقوب غير أنهم انقلبوا على أبناء عمومتهم، وكانوا يسكنون المنطقة الجبلية بين البحر الميت وخليج العقبة.. وجاء الإسماعيليون البدو الرُّحل من حدود مصر الشمالية الغربية، وهم إخوة غير أشقاء لإسحاق.. وجاء الموآبيون، وهم من نسل لوط من شرق البحر الميت.. وجاء الهاجريون من الشمال الشرقي.. وجاء «جبال» الذين سكنوا الجبال الشرقية من أرض أدوم.. وجاء العمونيون من عبر الأردن، وهم أعداء بني إسرائيل التقليديون.. وجاء العمالقة، أول الأعداء الذين هاجموا بني إسرائيل عندما خرجوا من أرض مصر (خروج 17).. وجاء الفلسطينيون من الغرب.. وجاء الصوريون من الشمال.. «لماذا ارتجَّت الأمم وتفكَّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه!» (مز 2: 1، 2). فإلى من يلجأ المرنم وشعبه الضعيف وسط هذا كله إلا إلى الله، يشكو له الخطر المحدق به!

ثانياً ـ تشجيع من التاريخ
(آيات 9-12)

يرجع المرنم بالذاكرة إلى حادثتين تاريخيتين جرتا في عصر القضاة، وهو أشد عصور بني إسرائيل ظلاماً، عندما نصر الله شعبه الضعيف على عدوين قويين، هما الكنعانيون والمديانيون، فيقول: «افعل بهم كما بمديان، كما بسيسرا، كما بيابين في وادي

قيشون. بادوا في عين دور. صاروا دِمَناً للأرض. اجعل شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب. ومثل زَبَح ومثل صَلْمُنّاع كل أمـرائهم، الذين قالوا: لنمتلك لأنفسنا مساكن الله» (آيات 9–12).

1 – النصرة على الكنعانيين: كان سيسرا قائداً لجيش الملك يابين ملك حاصور. وكانت مملكته تقع على شاطئ نهر قيشـون الشرقي، فكان يسيطر على الطريق من السهل إلى البحر، فأذاق بني إسرائيل مرارة الذل مدة عشرين سنة. وقـد شـجعت دبـورة النبية، قاضية بني إسرائيل، رجلاً اسمه باراق ليحارب سيسرا، وجرت الموقعة عند سفح جبل تابور، فانهزم سيسرا وهرب ماشـياً إلى الشمال الشرقي فوصل إلى خيام حابِر القيني حيث قتلته زوجة حابر بأن دقَّت وتد الخيمة في صدغه أثنـاء نومـه (قـض 4). ويقول المرنم إن يابين وجيشه بادوا في عين دور، وهي مدينة في نفس الوادي الذي تقع فيه مدينتا تعنك ومجدّو (قض 5: 19 قارن يش 17: 11). وقد سقطت جثث جيش يابين بقيادة سيسرا على الأرض مثل الدِّمَن (أي مثل الزِّبل).

2 – النصرة على المديانيين: كان الملكان زَبَحُ (ومعنى اسمه ذبيحة) وصَلْمُنّاعُ (ومعنى اسمه إلـه الظلمـة) ملكـين علـى المديانيين، وكان يقود جيشيهما قائدان، اسم أحدهما غراب، واسم الآخر ذئب. وكان الأقدمون يسمّون أولادهم بأسماء غريبة كهـذه لأنهم يتمنّون أن يكون الابن قوياً شرساً يهاجم الأعداء ويهزمهم. وكان المديانيون ينهبون محاصيل بني إسرائيل بعـد حصـادها، ويتركونهم نهباً للجوع. واجتمع المديانيون في وادي يزرعيل للهجوم على بني إسرائيل، فكلَّف الله القاضي جدعون ومعه ثلاث مئة رجل ليقوموا بهجوم ليلي ضدهم، فشاعت الفوضى في صفوف المديانيين وقتل بعضهم بعضاً، وقُتل غراب وذئب، وأُسِر جـدعونُ زبحَ وصلمناع ثم قتلهما، وكان يوم انتصار مشهود أُطلق عليه اسم «يوم مديان» (قضاة 6–8).

ويختم المرنم هذا الجزء بقوله إن أعداء شعبه قالوا: «لنمتلك لأنفسنا مساكن الله» وهي قولة لا يذكر سفر القضاة أن الكنعـانيين أو المديانيين قالوها، لكن التاريخ المقدس يذكر أن الملك يهوشافاط قالها في صلاته: «والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير.. يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من مُلكك الذي ملَّكتنا إياه» (2أي 20: 10، 11). والمرنم واثق أن ما جرى سابقاً فـي عصـر القضـاة سيتكرر مع يهوشافاط ومن سيجيئون بعده، فإن الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.

ثالثاً _ استغاثة

(آيات 13-18)

1 – طلب زوال العدو: «يا إلهي، اجعلهم مثل الجُلّ. مثل القش أمام الريح. كنار تحرق الوعر، كلهيب يشعل الجبـال. هكـذا اطردهم بعاصفتك، وبزوبعتك روِّعهم» (آيات 13–15). يطلب المرنم من الرب أن يُبعد الأعداء عن بلاده كما يطرد الريح الجـل (أي البعر، أو النفاية التي لا قيمة لها، وقد وردت الكلمة مرة أخرى في صف 1: 17) ومثل القش، ويطلب أن يحترقوا كما تشـب النار في غابة على الجبال أيام الجفاف، فلا ينزل عليها مطر ليطفئها، ولا يقدر إنسان أن يصعد إليها ليوقف احتراقها، فيتحقق فيهـا قول إشعياء: «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق، وجمهور العتاة كالعصافة المارة، ويكون ذلك في لحظة بغتةً. من قِبَـل ربِّ الجنود تُفتقَد برعدٍ وزلزلةٍ وصوتٍ عظيم، بزوبعةٍ وعاصفٍ ولهيب نار آكلة» (إش 29: 5، 6). ويقول الله عـن أعـداء شـعبه: «أبدِّدهم كقشٍّ يعبر مع ريح البرية» (إر 13: 24).

والمرنم هنا يتكلم بأسلوب العهد القديم، أسلوب «عين بعين وسن بسن» (لا 24: 20). لكننا نرفع هذه الطلبة بـروح المسـيح، روح العهد الجديد، الذي عبَّر عنه مسيحي حكيم بقوله: «اقتل أعداءك، بأن تجعلهم أصدقاء. اقتل عداوتهم بالمحبة ، واقتل مواقفـك السلبية فيك من نحوهم بأن تخدمهم وأن تقدم لهم رسالة المسيح».

2 – طلب توبة العدو: «املأ وجوههم خزياً فيطلبوا اسمك يا رب. ليخزوا ويرتاعوا إلى الأبد، وليخجلوا ويبيدوا، ويعلموا أنك اسمُك يهوه وحدك، العلي على كل الأرض» (آيات 16–18). يطلب المرنم توبة العدو في خطوتين، أولاهما أن الخزي والخـوف يجعلانه يدرك خطأه، وثانيتهما أن يعرف العدو الصواب ويطلب أن يعرف الرب:

(أ) إدراك الخطأ: يطلب المرنم من الرب أن يفشل هجوم الأعداء وأن ينهزموا، فيملأ الله وجوههم من الخزي والخجل والخوف، لأنهم اصطدموا بقوة أقوى منهم لا يعرفونها ولم يكونوا يتوقعونها، هي القوة الإلهية. ومن حكمة الله أنه يصيب الإنسـان بالفشل فيدرك عجزه ويطلب وجه الله، وهكذا يقوده خطؤه ليبحث عن الصواب، فيقول: «طرقك يا رب عرِّفنـي. سـبلك علِّمنـي. درِّبني في حقك وعلِّمني، لأنك أنت إله خلاصي» (مز 25: 4، 5).

(ب) **معرفة الصواب**: عندما تمتلئ وجوه الأعداء بالخزي يطلبون وجه الرب، وعندما يرتاعون ويسقط كثيرون منهم قتلى يطلبون أن يعبدوا الرب سيد الأرض كلها، لأنه رب الأرباب، وساكن السماوات، وخالق السماء والأرض وما عليهما وفيهما، فهو «يهوه» رب الحياة، الكائن والذي كان والذي يأتي، الأول والآخِر، العلي فوق كل عالٍ ومرتفع.

إن فشلنا من إصلاح نفوسنا بركة لأنه يقودنا إلى طلب الحياة الجديدة من الله، كما أن ضعفنا يعيننا على الاحتماء بالله، وفقرنا يُلجئنا إلى طلب غنى الله، وضِعتنا تجعلنا نطلب رفعة الله العلي. فليُصلِّ كل مؤمن أن يجعل الله أعداءه أحباء الله، وأن يُخضِع مقاوميه للجلال الإلهي، فينالون البركة وينالها هو أيضاً معهم.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْجَتِّيَّةِ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

1 مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ. 2تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلَهِ الْحَيِّ. 3اَلْعُصْفُورُ أَيْضاً وَجَدَ بَيْتاً، وَالسُّنُونَةُ عُشّاً لِنَفْسِهَا حَيْثُ تَضَعُ أَفْرَاخَهَا، مَذَابِحَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ مَلِكِي وَإِلَهِي. 4طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَداً يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ.

5طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ، طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. 6عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعاً. أَيْضاً بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ. 7يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ.

8يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، اسْمَعْ صَلاَتِي، وَاصْغَ يَا إِلَهَ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ. 9يَا مِجَنَّنَا انْظُرْ يَا اللهُ، وَالْتَفِتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ، 10لأَنَّ يَوْماً وَاحِداً فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ. 11لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْداً. لاَ يَمْنَعُ خَيْراً عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ. 12يَا رَبَّ الْجُنُودِ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ!

الاشتياق إلى ديار الرب

يصف هذا المزمور سعادة القلب المشتاق للوجود في بيت الله، العامر بالحماس في خدمته. وهو مثل مزموري 42، 43 اللذين يعبّران عن الاشتياق إلى بيت الرب، وعن الألم بسبب الحرمان من العبادة فيه. كما أن هناك تشابهاً كبيراً بين أفكار مزامير 27، 61، 63 ومزمورنا الذي ربما كتبه المرنم في يوم سبت كان فيه محروماً من التواجد في الهيكل لسبب خارج عن إرادته، وكان يأمل ألا يطول حرمانه من التعبُّد فيه، فطوَّب الذين لهم فرصة العبادة التي حُرم هو منها، بقوله: «طوبى (أي يالسعادة) للساكنين في بيتك، أبداً يسبحونك» (آية 4). فهو المشتاق للعبادة في الهيكل، والذي يطوِّب السعيد المتواجد دوماً في بيت الرب. سمعنا أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، ويمكن أن نقول أيضاً إن المرنم يرى ديار الرب تاجاً على رؤوس العابدين لا يراه إلا المحرومون منه.

ولكن المرنم يعتبر أن له نصيباً في التطويب، فيقول: «طوبى لأناس عزُّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم» (آية 5). فلئن لم تكن له فرصة التواجد في بيت الرب، إلا أنه سعيد لأن طرق بيت الرب في قلبه، فما سمعه من تراتيل وصلوات وتلاوة من كلمة الله في الهيكل لا يزال يملأ قلبه وعقله ويشغل فكره. ويختم مزموره بالقول: «طوبى للإنسان المتكل عليك» (آية 12). فمع أنه كان بالجسد بعيداً عن ديار الرب إلا أنه متكل على الرب في نوال غفران خطيته بالفداء بالذبائح التي طالبت بها الشريعة الموسوية، ولأنه يثق في الصُّحبة الإلهية. وهناك الوعد العظيم القائل: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28: 20).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – أسباب الاشتياق إلى هيكل الرب (آيات 1–4)

ثانياً – بركات هيكل الرب (آيات 5–7)

ثالثاً – صلاة إلى رب الهيكل (آيات 8–12)

أولاً ـ أسباب الاشتياق إلى بيت الرب
(آيات 1-4)

يقدم المرنم أربعة أسباب لاشتياقه إلى بيت الرب:

1 - بسبب حلاوة هيكل الرب: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود» (آية 1). لأن هناك يسكن الله وسط شعبه، كما قال لموسى: «يصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم» (خر 25: 8). وفي المسكن مذبح المحرقة النحاسي الذي كانوا يقدمون عليه الذبيحة الرئيسية، كما كان الشعب يأتون إليه بذبائحهم ويضعون أيديهم عليها معترفين بخطاياهم، فينالون المغفرة (لا 1: 4). وهناك تابوت عهد الرب، وبه لوحا الشريعة اللذان أعطاهما الله لموسى، وقسط به شيء من المنّ الذي أطعم الله به بني إسرائيل أربعين سنة في صحراء سيناء، وبه عصا هارون اليابسة التي اخضرَّت وأفرخت لتبرهن اختيار الله لهارون ليكون له كاهناً. وكان غطاء

التابوت (الذي يُدعى أيضاً كرسي الرحمة) من الذهب يظلله كروبان (ملاكان) من الذهب، وهناك يلتقي الله بشعبه على أساس الدم المسفوك من الذبائح، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب 9: 22). وفي مساكن الرب يسمع شعبه كلامه الحلو، وقد قال المرنم: «ناموس الرب كامل يردُّ النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرِّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد. أيضاً عبدك يُحذَّر بها، وفي حفظها ثواب عظيم» (مز 19: 7-11).

2 - بسبب حبه للرب: «تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (آية 2). الإنسان البعيد عن الله ميت في ذنوبه وخطاياه، ويكتفي بالإشباع المادي وحده، رغم أنه قد يعلم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت 4: 4). أما الإنسان الحي روحياً فلا يشبع إلا بالإله الحي، الذي به يحيا ويتحرك ويوجد (أع 17: 28)، وهو يعلم كم يشتاق الله إليه، فقد حلَّ وسط شعبه القديم في «خيمة الاجتماع» في صحراء سيناء. وفي ملء الزمان حلَّ بيننا في المسيح الكلمة، الذي صار جسداً (يو 1: 14). تشتاق نفس المرنم الحي (أي إرادته) إلى ديار الرب، ويهتف قلبه (أي عواطفه) ولحمه (أي عقله) بالإله الحي، لأن في ديار الرب يلتقي بالرب الذي هو الصديق الألزق من الأخ (أم 18: 24). وعندما يأتي إلى بيت الرب يشترك مع اليونانيين الذين طلبوا أن يروا المسيح، فيراه ويسمع إعلان حبه له، ويختبر صلاحه (يو 12: 20، 21) ويتحقق معه قول المسيح: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأُظهِر له ذاتي.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو 14: 21، 23).

3 - بسبب سلامه بالرب: «العصفور أيضاً وجد بيتاً والسُّنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها، مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي» (آية 3). حسد المرنم العصفور والسنونة (وهي طائر صغير يألف الناس ويبني عشه من الطين في البيوت ودور العبادة) لأنهما وجدا في بيت الرب مكاناً مستقراً يبنيان فيه عشهما ويتركان فيه أفراخهما مطمئنَّين أثناء طيرانهما بعيداً ليجلبا لها القوت! وكل من وجد لنفسه الشبع في الرب وفي بيته يريد لأولاده أن يجدوا نفس الشبع من المصدر نفسه. وكم يفرح كل أب تقي وهو يرى أبناءه أتقياء يحبون الله، ويشتاقون إلى سماع كلمته.. وبالحديث عن السنونة وأفراخها يعلن المرنم أنه عندما يأتي إلى بيت الرب يجد الطمأنينة والسلام، لأن الذبيحة المقدَّمة على المذبح (بحسب شريعة موسى) تؤكد له أن الله غفر خطاياه. ونحن عندما نتعب نلجأ إلى بيت الرب فنجد بابه مفتوحاً يرحب بنا، وكلمته تشجعنا، فنقول: «يا رب أقرب، فأقرب. إليك أقرب وأرغب. في الحزن والشجون يا سيدي الحنون، إليك أقرب فأقرب» لأننا نعلم أنه غفر لنا ذنوبنا وكفَّر عن خطايانا بفضل الذبح العظيم، السيد المسيح الذي بذل نفسه فديةً عنا.

ويطلق المرنم على الرب ألقاب «رب الجنود» و«ملكي» و«إلهي» فربُّ الملكوت القوي العظيم هو ربُّ المرنم نفسه، فياله من ملك محب لشعبه، ويالها من علاقة حميمة عميقة مشجعة للمرنم، تعطيه الطمأنينة وتملأ نفسه بالسلام!

4 - بسبب اتحاده مع المؤمنين في هيكل الرب: «طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك» (آية 4). يطوِّب المرنم خُدَّام الرب الماثلين في دياره يسبحونه في بيته، ويرفعون دوماً ترانيم التسبيح له من كل قلوبهم في هيكله، فإنهم «أهل بيت الله» (أف 2: 19). ويتمنى المرنم المحروم من العبادة أن ينال التطويب نفسه، فيلتقي بخُدَّام الله وبالمؤمنين الذين يحبون الرب ويسبحونه، ويتَّحد معهم بالروح والحق، لأنه في المكان البعيد عن بيت الرب يلتقي بمَن يختلفون معه في الاهتمامات والعقيدة والعبادة. أما في بيت الرب المقدس فإنه يضمُّ صوته إلى أصوات المتفقين معه في حب الله والتسبيح له، فيطمئن قلبه وينال شحنةَ قوةٍ روحية يخرج بها إلى العالم مبتهجاً، يعلن لكل البعيدين عن الرب فرحة العيشة مع الرب، ويدعوهم إليها. «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. لأنه هناك أمر الرب بالبركة. حياة إلى الأبد» (مز 133: 1، 3).

ثانياً - بركات هيكل الرب

(آيات 5-7)

لم يستطع المرنم أن يتواجد في بيت الرب، لأن ظروفاً خارجية منعته، لكنه يؤكد أن طرق بيت الرب في قلبه، وهو يتوجَّه بروحه إليه، ولسان حاله يقول: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله» (مز 51: 10) فصار قلبه هيكلاً مقدساً يسكنه الرب. وعلى كل مؤمن أن يكون هيكلاً متحركاً، كما أن على كل أسرة أن تكون كنيسة مصلِّية، إذ يجتمع الزوج والزوجة والأولاد ليصلوا معاً، فيتحقق لهم وعد المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20). فلتكن أجسادنا وبيوتنا مساكن لله وديراً له، حتى نقول مع يشوع: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش 24: 15).

وفي توجُّه روح المرنم إلى هيكل الرب ينال ثلاث بركات:

1- بركة الاعتزاز بالرب: «طوبى لأناسٍ عزُّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم» (آية 5). ما أسعدهم لأنهم جعلوا الرب مصدر قوتهم، فهو البرج الحصين الذي يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع (أم 18: 10) فطوبى لمَن جعل الرب متَّكله (مز 40: 3) ووضع رجاءه في الرب إلهه (مز 146: 5). وبالرغم من بُعد المرنم عن الهيكل بالجسد، إلا أنه يطوب نفسه لأن طرق بيت الرب المقدسة مطبوعة في قلبه، وتأثيراته عميقة في داخله، حتى يمكن أن يُقال له ما قاله الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقنٌ أنه فيك أيضاً» (2تي 1: 5). إنه لم يسلك في طرق الرب فقط، بل جعلها أيضاً في قلبه. وكم نحتاج اليوم أن تُطبع طريق بيت الرب في قلوبنا، وليس فقط أمام عيوننا، فنقول: «وُجد كلامك فأكلته» (إر 15: 16). وإن كان الله مصدر قوتنا وعزَّنا فلنجعل كلمته سراجنا ونور سبيلنا، فننال عزماً وقوة منه، ونتقدم من قوة إلى قوة كما وعدنا المسيح: «ستنالون قوةً متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع 1: 8). يريد الرب أن يعطينا قوة روحية، فيغذينا بكلمته، ويملأنا بالروح القدس، حتى يجوز فينا القول: «كتبتُ إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير» (1يو 2: 14). وبكلمة الله وعمل روحه يزيد إيماننا، ويصير كل شيء مستطاعاً لنا، لأن كل شيء مستطاع للمؤمن (مر 9: 23) ونقول مع الرسول بولس: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في 4: 13).

2 - بركة الفرح بالرب: «عابرين في وادي البكاء يصيِّرونه ينبوعاً. أيضاً ببركات يغطون مورة» (آية 6). وادي البكاء وادٍ قاحل جاف، تكثر فيه أشجار البلسم التي لا تحتاج في نموِّها إلى رطوبة كثيرة. وعندما كانت تُجرَح كان يخرج منها سائل، مثل أشجار المطاط، لذلك سمّوها «أشجار البكاء» (2صم 5: 23). وكان الحُجاج يجوزون في وادي البكا في طريق صعودهم إلى أورشليم، ولكن إيمانهم كان يحوِّله إلى ينبوع، بمعنى «بركة» لأن فرح الرب يملأ قلب أحبائه حتى في أصعب ظروفهم. إنهم لا يستمدون فرحهم مما يحيط بهم، بل مما يمنحه الله لهم من مباهج روحية. وعندما يعبر محبّو الرب في وادي الدموع يجعلونه مصدر بركة حقيقية. «يقودك الرب على الدوام، ويشبع في الجدوب نفسك، وينشِّط عظامك، فتصير كجنَّة ريا وكنبع مياهٍ لا تنقطع مياهه» (إش 58: 11).

ونلاحظ أن أول كلمة في آية 6 هي كلمة «عابرين» في وادي البكاء. ولم يقل «مقيمين» فيه. وهناك فرق بين هذا وآية 4 التي تقول: طوبى «للساكنين» في بيتك. فنحن نعبر في وادي البكاء ولكننا نسكن في بيت الله. وفي مزمور 23 يقول: «إذا سرتُ» في وادي ظل الموت، ولا يقول «إذا توقَّفت» في وادي ظل الموت، ولا «إذا أقمت». ففترة الضيق والألم مؤقتة وغير دائمة ولابد أن تعبر، لأن الله وعد المؤمنين أن يأتي إليهم لينقذهم.

«أيضاً ببركات يغطون مورة». ومورة تعني «المرار». وتل مورة هو المكان الذي هاجم فيه المديانيون شعب الرب، فنصرهم بنصره بواسطة القاضي جدعون، كما قيل: «فبكَّر يرُبَّعل (أي جدعون) وكل الشعب الذي معه، ونزلوا على عين حرود، وكان جيش المديانيين شماليَّهم عند تل مورة» (قض 7: 1).

إذاً عندما نأتي إلى وادي الدموع نجعله ينبوع بركة وفرح، وعندما يهاجمنا العدو في تل المرار نغطيه بالبركات، لأن الله يحوِّل آلامنا إلى بركات، ويقول لنا: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو 16: 33). وغلبته تصبح غلبتنا عندما نتَّحد به اتحاد الغصن بالكرمة.

3 - بركة النمو في الرب: «يذهبون من قوة إلى قوة. يُرون قدام الله في صهيون» (آية 7). ينال الحجاج الذين سيتعبَّدون في هيكل الرب قوة وهم يصعدون إلى أورشليم، وتتزايد قوتهم وفرحهم كلما اقتربوا من الهيكل، لأنهم يتشجعون ويذهبون من قوة إلى قوة، وينمون في النعمة ومعرفة ربهم (2بط 3: 18). «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوةً، يرفعون أجنحةً كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (إش 40: 31). إنهم من ملء الرب جميعاً يأخذون، ونعمة فوق نعمة، فيتقدمون من مجد إلى مجد (يو 1: 16 و2كو 3: 18). ويشتاق مؤمنو العهد الجديد إلى العبادة في صهيون الروحية، وسط جماعة المؤمنين من كل عِرق في كل مكان. وقد أسس الرب على يد الرسول بولس في مدينة فيلبي كنيستين بدون مبانٍ، إحداهما على شاطئ البحر، ومن أعضائها ليديا بائعة الأرجوان، والأخرى في مكان أغرب هو سجن المدينة وقد ارتفعت منه ترانيم بولس وسيلا، والمسجونون يسمعونهما، فآمن السجان، ثم آمن أهل بيته. لقد أجرى الرب معجزة عظيمة. وذهب المؤمنون في فيلبي من قوة إلى قوة، ورآهم الناس قدام الله في كنيسته.

ثالثاً ـ صلاة إلى رب الهيكل
(آيات 8-12)

1- لأنـه إلـه الجنـود: «يا ربُّ، إله الجنود اسمع صلاتي، واصغَ يا إله يعقوب» (آية 8). «رب الجنود» هو الذي قال عنه داود لجليات الجبار: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود» (1صم 17: 45). وجنوده هم كل الخلائـق (تك 2: 1). وهم شعبه الذين اختارهم (خر 7: 4). وهم الشمس والقمر والنجوم (تث 4: 19 و17: 3). وهم الملائكة (لو 2: 13). إنه صاحب كل سلطان في السماء والأرض.

ومع كل عظمة «رب الجنود» فإن المرنم لا يرتعب منه بل يأنس إليه، لأنه «إله يعقوب» إله العهد الذي صنع مع خليله إبراهيم ميثاقاً (تك 15: 18). والذي دخل في عهد مع يعقوب، وتعهد أن يتبارك فيه وفي نسله جميع قبائل الأرض، وأن يكـون معـه وأن يحفظه حيثما يذهب (تك 28: 14، 15). واليوم نعلم أنه أدخل المؤمنين في عهد جديد مع المسيح، ففي كل مرة نقف أمامه مصلّين نعلم أنه الإله القوي «رب الجنود» و«إله العهد» الذي يفي بكل وعوده لنا، فلا تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به (يش 23: 14).

2 - لأنه إله الحمايـة: «يا مجننا، انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك» (آية 9). المجن هو الترس الكبير، وهو قطعة خشـب يغطونها بالجلد، يمسكها الجندي بيده اليسرى ليتلقّى عليها السهام فلا تصيبه. وقال الرب لخليله إبراهيم: «لا تخف.. أنا ترس لـك» (تك 15: 1). فالرب يحمي المؤمن من سهام العدو القاتلة. ويطلب المرنم أن يلتفت الله بالحماية إلى وجه مسيحه فلا تصيبه السهام. وربما يقصد بـ«مسيحك» الملك ابن داود الذي تعهَّد الرب له أن «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتـاً إلـى الأبد» (2صم 7: 16). أو قد يقصد به شعب الرب الذين يدعوهم «ابني البِكر» (خر 4: 22). وقد يقصد به رئيس الكهنـة (لا 4: 3). (راجع تعليقنا على مز 80: 17).

3 - لأنه إلـه الفرح: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (آية 10). يصلي المرنم طالباً بهجة الوجود في ديار الرب وفي حضرته، فاليوم الواحد في دياره هو يوم عيد واحتفـال وابتهاج، حيث يذكر فضل الله عليه وعلى آبائه. وهناك يسمع كلمة الله المشجعة، خصوصاً وقت تعبه وضيقه، وبالتأمل في وعـود الرب تتشجَّع نفسه. وفي بيت الرب يجد طريق الخلاص بالفداء «وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب 9: 22) فيرتفع عن كاهله ثقل الإحساس بالذنب، ويعتبر اليوم الذي يلتقي فيه بالرب خير من ألف.

وفي بيت الرب يفرح بتقديم خدمة لإلهه مهما كانت متواضعة، ولو كانت خدمة بوّاب، فإن الوقوف على العتبة كبوّاب في بيت الرب خير من السكن والضيافة في خيام الأشرار، حيث تُمارس الرذائل. وكاتب هذا المزمور هو أحد أولاد قورح الذين اشـتغلوا حرّاساً لبيت الرب، كما يقول الوحي: «القورحيون على عمل الخدمة حرّاس أبواب الخيمة، وآباؤهم على مَحَلَّـة الـرب حـراس المدخل» (1أخ 9: 19).

4 - صلاة لإله الخيـر: «لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال. يـا ربَّ الجنود، طوبى للإنسان المتَّكل عليك» (آيتا 11، 12). يصف المرنم الرب بأنه «شمس» لأنه المعطي، فهو «شمس البر والشفاء في أجنحتها» (ملا 4: 2). والشمس تعطي النور، فالرب نوري (مز 27: 1) وهي تطهر وتحرق الزغل «ويصير نور إسرائيل نـاراً وقدّوسه لهيباً فيُحرِق» (إش 10: 17) وبنوره نرى نوراً (مز 36: 9). وهو يبهج النفوس فالنور «حلوٌ، وخيرٌ للعينـين أن تنظـرا الشمس» (جا 11: 7). وهو يدفئ حياتنا بمحبته، ويعطينا الطاقة والقوة، ويقيمنا من النوم ويبعث فينا الحياة لنتحرك ونعمل. ويصف الرب بأنه «مجن» لأنه يحمي المؤمن. (انظر آية 9). وهو «يعطي رحمة ومجداً» ففي رحمته يمنع عنا ما نستحقه من عقاب، وفي مجده يعطينا ما لا نستحقه من بركة. إنه يرحمنا بمحبته، ويمجّدنا بقوته، فنقول له: «ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى. برأيك تهديني وبعدُ إلى مجد تأخذني» (مز 73: 23، 24). صحيحٌ أنه يمجدنا بعد وصولنا للسماء، ولكن عندما نهتدي برأيه نعيش حيـاة كلها مجد. وهو «لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال» والكمال عطية منه، ومع ذلك يضيف إليه الخير. «الذي لم يشفق على ابنـه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو 8: 32).

وكردّ فعلٍ طبيعي للصلاة التي يستجيبها إله الخير يعتمد المؤمن عليه، ويتصرَّف مطمئناً في نور ما يعرفـه عنـه، فهـو رب الجنود (آية 1) الإله الحي (آية 2) ملكي وإلهي (آية 3) إله يعقوب (آية 8) شمس ومجن (آية 11).. طوبى لمن يتكل عليه!

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

1 رَضِيتَ يَا رَبُّ عَلَى أَرْضِكَ. أَرْجَعْتَ سَبْيَ يَعْقُوبَ. 2غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيَّتِهِمْ. سِلاَهْ.
3حَجَزْتَ كُلَّ رِجْزِكَ. رَجَعْتَ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ. 4أَرْجِعْنَا يَا إِلَهَ خَلاَصِنَا، وَانْفِ غَضَبَكَ عَنَّا. 5هَلْ إِلَى الدَّهْرِ
تَسْخَطُ عَلَيْنَا؟ هَلْ تُطِيلُ غَضَبَكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟ 6أَلاَ تَعُودُ أَنْتَ فَتُحْيِينَا فَيَفْرَحَ بِكَ شَعْبُكَ؟ 7أَرِنَا يَا رَبُّ
رَحْمَتَكَ، وَأَعْطِنَا خَلاَصَكَ.

8إِنِّي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ اللهُ الرَّبُّ، لأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِشَعْبِهِ وَلأَتْقِيَائِهِ، فَلاَ يَرْجِعُنَّ إِلَى الْحَمَاقَةِ، 9لأَنَّ
خَلاَصَهُ قَرِيبٌ مِنْ خَائِفِيهِ، لِيَسْكُنَ الْمَجْدُ فِي أَرْضِنَا. 10الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا. 11الْحَقُّ
مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ. 12أَيْضاً الرَّبُّ يُعْطِي الْخَيْرَ، وَأَرْضُنَا تُعْطِي غَلَّتَهَا. 13الْبِرُّ قُدَّامَهُ
يَسْلُكُ، وَيَضَعُ فِي طَرِيقِ خَطَوَاتِهِ.

الرحمة والحق التقيا

يبدأ المرنم المزمور بالشكر لله لأنه استجاب الصلاة وأرجع شعبه من سبي بابل، أيام نحميا، وأيام النبي زكريا. وكان أحد الملائكة قد تساءل: «يا ربَّ الجنود، إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبتَ عليها هذه السبعين سنة؟» فأجاب الرب الملاك بكلام طيب وكلام تعزية. فقال الملاك للنبي زكريا: «هكذا قال رب الجنود: غرتُ على أورشليم وعلى صهيون غيرةً عظيمة» (زك 1: 12-14).

لقد صلى بنو إسرائيل في سبيهم تائبين طالبين الإنقاذ، فسمع الرب لهم وردَّ سبيهم، فكان رجوعهم برهاناً على أنه غفر إثمهم وستر خطاياهم، كما قال على لسان النبي إرميا: «أردُّ سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كالأول، وأطهِّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ، وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ والتي عصوا بها عليَّ. فتكون لي اسم فرح للتسبيح وللزينة لدى كل أمم الأرض الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم، فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها» (إر 33: 7-9). لكن عندما رجعوا اكتشفوا أن أسوار أورشليم مهدومة، وأن الهيكل لم يُبنَ، وأن الراجعين عددٌ قليل، وكلهم من البسطاء الفقراء، فتحوَّل شكرهم إلى شكوى، لأن الحالة الأليمة التي رأوها أعلنت لهم أن الله لا زال غاضباً عليهم. ولعلهم تساءلوا: متى يحقق لنا الله ما جاء في نبوات إشعياء أصحاحات 40-66 عن بركاته للعائدين من السبي؟ إنها تبدأ بالقول: «عزّوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها قد كمُل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضِعفين عن كل خطاياها» (إش 40: 1، 2).

يبدأ المزمور بترنيم من الشعب (آيات 1-7) يطلبون فيه قوة الله لهم لينتعشوا ويفرحوا، فيردُّ عليهم الكاهن (آيات 8-13) بأنه قد جاءته إجابةٌ من الله يؤكد فيها السلام لشعبه ولأتقيائه فلا يرجعون إلى الحماقة، وبهذا التقت رحمةُ الله مع حقِّه، وتعانق البر والسلام وتلاثما (آية 10). وواضحٌ أن هذا لا يتحقق إلا في الصليب الذي فيه التقت عدالة الله برحمته، وتلاثم البر الذي يطالب بالعدالة مع السلام الذي يمنح الغفران، فعدالة الله لا تتصالح مع رحمته إلا بالصليب الذي فيه يأخذ العدل حقه وتتبرهن لنا الرحمة السماوية والنعمة الإلهية.

هذا المزمور نبوَّة عن المسيا الآتي، ليحقق الوعود المباركة:

في المسيا نجد السلام، كما رتَّلت الملائكة يوم مولده: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو 2: 14).. وبه ننال الخلاص، كما قال عنه سمعان الشيخ: «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددْته قدام وجه جميع الشعوب» (لو 2: 30، 31).. وبه يسكن المجد أرضنا، لأنه: «نورُ إعلانٍ للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو 2: 32).. وفيه يلتقي العدل والرحمة: «أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 17) كما أن «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم» (2كو 5: 19)، فأمكن للمصالَحين مع الله أن يقولوا: «فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو 5: 1).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مراحم سابقة (آيات 1-3)

ثانياً – طلب مراحم جديدة (آيات 4–7)
ثالثاً – صوت سماوي (آيتا 8، 9)
رابعاً – انتظار واثق (آيات 10–13)

أولاً ـ مراحم سابقة
(آيات 1-3)

يذكر المرنم ثلاث بركات أعطاها الله لشعبه:

1 - الرجوع من السبي: «رضيتَ يا رب على أرضك. أرجعْتَ سبي يعقوب» (آية 1). عندما غضب الله على شعبه سمح بأن يؤخذوا سبايا، وقيل فيهم: «الرب لم يقبلهم. الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم.. حين يصومون لا أسمع صراخهم، وحين يُصعدون محرقةً وتقدمةً لا أقبلهم، بل بالسيف والجوع والوبأ أنا أُفنيهم» (إر 14: 10، 12). وعندما رضي عليهم بعد مضي سبعين سنة رفع عنهم غضبه وأرجعهم إلى أرضهم.. وهناك سبيٌ أسوأ من سبي بابل، هو سبي الشيطان للخطاة واستعباده لهم. ولكن عندما يرجع الخاطئ لله تائباً، قارعاً على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو 18: 13) يغفر الله له ويحرره من ذل الخطية وأسر العادات الشريرة، ويمنحه الحياة ذات المعنى. فإن رجعت إلى الله تائباً ينقلك من عبودية الشيطان وسلطان الظلمة إلى الحرية المجيدة (كو 1: 13).

2 - نوال الغفران: «غفرتَ إثم شعبك. سترتَ كل خطيتهم» (آية 2). الإثم هو العوَج والفساد الأخلاقي، والخطية هي عدم إصابة الهدف. وقد غفر الله لشعبه عوَجَه وفساده، ولم يعُد يحسبه ضدَّهم، وستر كل خطيتهم فلم تعُد ظاهرة ولا محسوبة عليهم. لقد منحهم ما لم يكونوا قادرين على عمله لأنفسهم، فغفر ذنوبهم وكفَّر عن خطاياهم. «مَن هو إلهٌ مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة» (مي 7: 18). وما فعله مع بني إسرائيل التائبين يفعله معنا نحن اليوم، فيدعونا: «ليترُك الشرير طريقه، ورجل الإثم أفكاره، وليتُب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثِرُ الغفران» (إش 55: 7)، ويحقِّق لنا قوله: «وأطهِّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ. وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ والتي عصوا بها عليَّ» (إر 33: 8). فلنأتِ إليه تائبين معترفين، لأنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (1يو 1: 9).

3 - رفع الغضب: «حجزتَ كل رجْزك. رجعتَ عن حموِّ غضبك» (آية 3). الرِّجز هو الغضب الشديد، ورأى المرنم في السبي البابلي رجزاً من الله وغضباً متَّقداً، كما رأى في الرجوع من السبي رفعاً للغضب الإلهي. «قد محوتُ كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك» (إش 44: 22). فلنذكر مراحم الله ولنتواضع أمامه، فهو المعطي بسخاء ولا يعيِّر (يع 1: 5)، والغافر الماحي الذنوب ولا يعود يذكرها (إش 43: 25)، والمبارِك الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات (1بط 1: 3)، ولنقدِّم له الشكر القلبي، ولنضع ثقتنا فيه، ولنرفع دوماً صلواتنا إليه قائلين: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدي من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة، الذي يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك» (مز 103: 1–5).

ثانياً ـ طلب مراحم جديدة
(آيات 4-7)

في الآيات الثلاث الأولى رفع المرنم شكره على فضل الله وإحسانه، لأنه أرجع كثيرين من السبي، ولو أن البعض كان لا يزال باقياً فيه باختياره. فطلب من الله أن يكمل الأمور الناقصة، كما قال المرنم: «عندما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهُنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً..» (مز 126: 1، 2). ثم قال: «اردُد يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب» (آية 4). فعندما ردَّ الرب سبيهم صاروا كأنهم يحلمون، ولكنهم ذكروا بقية إخوتهم في السبي، فرفعوا الطلبة لأجلهم. إنهم كالخاطئ المستعبَد للخطية، ولا يرى طريقاً للنجاة منها. وعندما يخلِّصه الرب منها بالتوبة وينصره عليها بالتقديس، يهتف مهللاً: «الفخُّ انكسر ونحن انفلتنا» (مز 124: 7). ولكنه بعد ذلك يكتشف في نفسه عيوباً ونقائص، فيطلب من الله أن يكمل خلاصه بمزيد من التقديس والخضوع للروح القدس. فلنطلب من الرب المزيد من البركة، فيعطينا بحسب غناه وسخائه.

1 - لا زال رجوعهم ناقصاً، عدداً ونوعاً: «أرجِعنا يا إله خلاصنا» (آية 4 أ). كان عدد الراجعين من السبي قليلاً، وبقي كثيرون في بلاد السبي طمعاً في الربح المادي، وهروباً من مشقَّة السفر إلى مسقط رؤوسهم. وبعض الذين رجعوا واجهوا متاعب

ومشاكل، فحنَّت نفوسهم للرجوع إلى أرض السبي، فكان رجوعهم بالجسد فقط وليس بالقلب، فرفع المرنم صلاته لأجلهم ليكون رجوعهم للرب المخلِّص رجوعاً بالجسد والقلب والنفس معاً.

ونحتاج اليوم أن نرفع نفس هذه الصلاة بمعنى روحي، فهناك كثيرون بعيدون عن الرب، يعيشون أسرى إبليس، يجب أن نصلي لأجلهم ليُرجعهم الرب إليه بالتوبة. وهناك كثيرون يتوبون ويرجعون إلى الرب، ولكنهم يحتاجون إلى قوة روحية وعزم صادق للحياة معه، والتعمُّق أكثر في محبته، والاجتهاد أكثر في طاعته. لأجل هؤلاء نصلي مع المرنم: «أَرجِعنا يا إله خلاصنا».

2 - لا زال الله غاضباً عليهم: «وانْفِ غضبك عنا. هل إلى الدهر تسخط علينا؟ هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟» (آيتا 4ب، 5). أغضب الشعب إلههم وأغاظوه بخطاياهم، فغضب عليهم واغتاظ منهم، كما قال عن عَبَدة الأوثان منهم: «لسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني. أفإيّاي يغيظون، يقول الرب؟ أليس أنفسهم؟ .. ها غضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع، على الناس، وعلى البهائم، وعلى شجر الحقل، وعلى ثمر الأرض، فيتَّقدان ولا ينطفئان» (إر 7: 18–20). والمرنم يطلب من الله أن يوقف غضبه عليهم وأن يضع له حداً، وكأنه يقول: «يا رب، لا توبِّخني بغضبك، ولا تؤدِّبني بغيظك» (مز 6: 1).

3 - لا زالوا محتاجين إلى انتعاش: «ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك؟» (آية 6). طلب المرنم من الله انتعاشاً روحياً ونهضة حقيقية، تُنهِض الأفراد، وتُحيي جماعة العابدين. «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميعُ خطاياهم» (مي 7: 19). قال النبي هوشع: «هلمَّ نرجع إلى الرب، لأنه هو افترس فيشفينا، ضرب فيَجبِرنا. يُحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا أمامه» (هو 6: 1، 2). وصلى النبي حبقوق: «يا رب، عملك في وسط السنين أَحيِهِ» (حب 3: 2). وهم يحتاجون إلى اختبارٍ شبيه باختبار النبي حزقيال «فقال لي: يا ابن آدم، أتحيا هذه العظام؟ فقلتُ: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقُل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هأنذا أُدخِلُ فيكم روحاً فتحيون» (حز 37: 3–5).

4 - لا زالوا محتاجين إلى الرحمة والخلاص: «أَرِنا يا رب رحمتك وأَعطِنا خلاصك» (آية 7). لقد رأوا غضبه، والآن يطلبون رؤية رحمته. «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ» (مز 51: 1). والخلاص الأول والأهم هو من أجرة الخطية ومن سلطانها الشرير، وخلاصنا منها هو من عمل رحمة الله وحدها، لأنها تغفرها لنا وتكفِّر عنها. ولا يمكن أن يحصل المرنم على استجابة صلاته والنجاة من ضيقاته إلا برحمة من عند الله، فيصلي: «في الغضب اذكر الرحمة» (حب 3: 2).

ثالثاً ـ صوت سماوي

(آيتا 8 ، 9)

بعد أن طلب المرنم لنفسه ولشعبه الخلاص انتظر الإجابة من الرب، فجاءته في هاتين الآيتين، فهتف بفرح. هاتان الآيتان إذاً استجابة الله لدعاء شعبه، كما قال النبي حبقوق: «على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي، وماذا أُجيبُ عن شكواي. فأجابني الرب وقال: اكتُب الرؤيا وانقُشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظِرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب 2: 1–3) وكما قال المرنم: «مرةً واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعتُ، أن العزة لله. ولك يا رب الرحمة، لأنك أنت تجازي الإنسان كعمله» (مز 62: 11، 12). وفي هاتين الآيتين يقول الرب لشعبه أمرين:

1 - الرب يكلم شعبه بالسلام: «إني أسمع ما يتكلم به الله الرب، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه فلا يرجعُنَّ إلى الحماقة» (آية 8). «لا سلام، قال الرب، للأشرار» (إش 48: 22). ولكن عندما يتوب الشرير يمنحه الله السلام معه، ومع نفسه، ومع جيرانه. وتجيء إجابة الله على لسان متكلم يقول بصيغة المفرد: «إني أسمع». ولعل كاهناً رنَّم بصوت منفرد معلناً إجابة السؤال، فقال إن ربَّ السماء والأرض يتكلم برسالة سلام لشعبه ولأتقيائه الذين يحبونه ويوقّرونه ويخشونه، وقد قال لهم: «لأني عرفتُ الأفكار التي أنا مفتكرٌ بها عنكم يقول الرب، أفكار سلام لا شرٍّ، لأعطيكم آخرةً ورجاء، فتدعونني وتذهبون، وتصلّون إليَّ فأسمعُ لكم، وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم» (إر 29: 11–13). وقال: «يتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى

البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (زك 9: 10). ولا بد أن يعود هذا السلام بالخير للشعب، فلا يرجعون مرةً أخرى إلى حماقة الخطية، والاعتماد على الذات. وعندما نتساءل: «ألا تعود أنت فتحيينا؟» (آية 6) يطمئننا ويعِدُنا بالسلام قائلاً: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو 14: 27). فعندما نشكو من ضعف المؤمنين ومن انتشار الشر، يقول الرب لنا: «حيث كثُرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رو 5: 20) فيعمِّر الأمل قلوبنا ولا نيأس، لأن الرب عاملٌ في وسط شعبه، ونقول: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو 5: 1).

2 - الرب يخلِّص شعبه ويمجِّده: «لأن خلاصه قريب من خائفيه ليسكن المجد في أرضنا» (آية 9). عندما يتكلم الرب على شعبه بالسلام يقترب إليهم ويخلِّصهم وينقذهم من الذل والخطر، وبهذا يستجيب صلاتهم «أَرِنا يا رب رحمتك وأَعطِنا خلاصك» (آية 7) فيسكن المجد أرضهم بعد أن أضاعه منهم ذلُّ السبي البابلي. عندما أخذ الأعداء تابوت عهد الرب مات رئيس الكهنة عالي حزناً، ومن شدة الصدمة ماتت أيضاً زوجة ابنه فينحاس وهي تلد. وفي لحظات احتضارها سمَّت ولدها «إيخابود» أي زال المجد. لكن خلاص الرب يُعيد المجد للمؤمنين الذين يخافونه، فيتحقَّق معهم القول: «غطَّت السحابة خيمة الاجتماع، وملأ بهاءُ الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلَّت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن» (خر 40: 34، 35). وهذا ما دُعي «الشكينا» أي حلول الله بمجده في هيكله وسط شعبه. وهو نفس ما حدث عندما دُشِّن هيكل سليمان، فملأ مجد الله المكان (2أخ 7: 1-3). وعندما يتحقَّق هذا الوعد نتغنّى: «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً، فأسكن في وسطك، فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك» (زك 2: 10، 11).

أما المجد الكامل للرب فنجده في المسيح «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمةً فوق نعمة . لأن الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 1، 14، 16، 17). فالمسيح هو «صورة الله غير المنظور.. لأنه فيه سُرَّ أن يحِلَّ كلُّ الملء.. الذي هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته» (كو 1: 15، 19 وعب 1: 3).

رابعاً ـ انتظار واثق
(آيات 10-13)

تذكر شعب الرب مراحمه الماضية، وطلبوا منه مراحم جديدة، فأرسل إليهم صوته المشجِّع برسالة سلام. وكنتيجة لهذا السلام انتظر الشعب ثلاثة أمور:

1 - المصالحة مع الله: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (آية 10). الرب إله رحيم، وفي رحمته العظيمة دخل في عهدٍ مع محبّيه، وقد صدقت وعود رحمته دائماً. وفي الوقت نفسه هو إله بار وعادل، قال عن نفسه: «أنا الربُّ ولا إله غيري. إله بارٌّ ومخلِّص. ليس سواي. التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر» (إش 45: 21، 22). فكيف يخلِّص الخاطئ العاصي وهو الإله البار؟ كيف يكون رحيماً وعادلاً معاً؟ وكيف يمارس رحمته مع الخاطئ فيقول له: «مغفورة لك خطاياك» (مر 2: 5) وفي الوقت نفسه ينفذ عدالته «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو 6: 23)؟.. إن رحمه وسامحه يكون هذا على حساب عدالته. وإن عاقبه لا يكون رحيماً معه. فكيف يلتقي الحق بالرحمة، وكيف يعانق البرُّ العادلُ السلامَ الغافر؟ لا بد أن المرنم كتب هذه الآية بوحي الروح القدس، وقد أدرك بعض معناها في الذبائح الكفارية التي أمرت بها شريعة موسى، وكلها كانت ترمز إلى ما ندركه نحن اليوم إدراكاً كاملاً بعد أن جاءنا المسيح الذبح العظيم بالفداء والكفارة، ففي صليب المسيح استوفى العدل الإلهي حقَّه، وفيه أُعلنت رحمته بكامل جلالها. وقد لخَّص المسيح رسالته بقوله: «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16). مدَّ الرب لنا يد محبته في الصليب، فانشقَّ حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل، لكيلا يكون هناك حاجز بين الله العادل والإنسان الخاطئ اللاجئ إلى رحمته المخلِّصة (مت 27: 51). وكانت البداية والمبادرة من فوق إلى أسفل، من عند الله «الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.. أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (2كو 5: 18، 19). «الرحمة والحق التقيا» في الصليب، حيث دفع المسيح أجرة الخطية وصالحنا مع

الله. وتلاثم البر الذي هو العدل مع السلام، لأن عدالة الله أخذت حقها من المسيح، فأُطلِق الخاطئ التائب المعترف حراً، لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين!

2 - بركة الله: (آيتا 11، 12).

(أ) صُنع البر : «الحق من الأرض ينبت» (آية 11أ) لعن الله الأرض بسبب الخطية، وقال لآدم بعد أن عصاه: «ملعونةٌ الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تُنبِت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخِذتَ منها، لأنك ترابٌ وإلى تراب تعود» (تك 3: 17–19) فخرج الحق من الأرض. ولكن عندما يسود سلام الله قلوبنا نبدأ حياة الحق، ونسلك سلوك البر، لأن إيماننا يظهر في أعمالنا الصالحة، التي سبق الربُّ فأعدَّها لنا لنسلك فيها (أف 2: 10). فيتمُّ فينا القول: «ترنَّمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً. الوعرُ وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب، وفي إسرائيل تمجَّد» (إش 44: 23).

(ب) بركة السماء: «لأن البر من السماء يطَّلع» (آية 11ب). عندما يسود سلام الله قلوب المؤمنين يتطلَّع برُّ الله إليهم من السماء كما تشرق الشمس، فينمو البر ويزيد ويزدهر في قلوب الناس، ويسود التوافق بين الناس والله، فيقول لهم: «في ذلك اليوم.. أستجيب السماوات وهي تستجيب الأرض. والأرض تستجيب القمح والمسطار والزيت» (هو 2: 21، 22) ويأمر الرب: «اقطُري أيتها السماوات من فوق، وليُنزل الجوُّ بِراً. لتتفتح الأرض فيثمرَ الخلاص. ولتُنبتْ بِراً معاً. أنا الرب قد خلقتُه» (إش 45: 8).

(ج) بركة الأرض: «أيضاً الرب يعطي الخير، وأرضنا تعطي غلتها» (آية 12). عندما يسود البر والحق يجيء النجاح الاقتصادي «يفتح لك الربُّ كنزه الصالح، السماءَ، ليُعطيَ مطر أرضك في حينه، وليباركَ كل عمل يدك، فتُقرِضُ أمماً كثيرة وأنت لا تقترض، ويجعلك الرب رأساً لا ذَنَباً، وتكون في الارتفاع فقط» (تث 28: 12، 13). ويتحقَّق الوعد: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه. اتَّقوا الرب يا قدّيسيه لأنه ليس عوزٌ لمتَّقيه» (مز 34: 8، 9). لقد منحنا الله السلام في المسيح، وصالحنا به «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو 8: 32). فإن كان قد وهبنا البركة الروحية التي هي أثمن مِن البركة الجسدية، ألا يعطينا البركة الجسدية! «انظروا إلى طيور السماء.. تأملوا زنابق الحقل» (مت 6: 26–32) كيف يعتني الرب بها «أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت 10: 30). حقاً «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني.. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحتَ بالدُّهن رأسي، كأسي ريا» (مز 23: 1–5).

3 - قيادة الله: «البر قدامه يسلك، ويطأُ في طريق خطواته» (آية 13). يقود الله أولاده دائماً في طرق البر، ويجعل عدله يسلك أمامهم، فيسلكون في آثار خطواته «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو 8: 14). «حينئذ ينفجر مثل الصبح نُورُكَ، وتنبت صحتكَ سريعاً، ويسير برُّك أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك» (إش 58: 8). والساقة هم الذين يسيرون في المؤخَّرة، فالرب يرشد أول السائرين، كما يرشد آخرهم، ويفتح أمامهم جميعاً طرق البر، فيسير البر أمامهم، ويسير المؤمنون إلى الأمام أيضاً في طرقه، وهم يقولون: «يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز 23: 3).

فلنرنم هذا المزمور بالشكر، ولندعُ إله خلاصنا أن يتكلم بالسلام علينا، فيسكن مجده في أرضنا.